صالح المقبض ..
خطاط جزائري يمزج الفلسفة والتصوف والجمال

عرضُ الخطاطُ الجزائريُّ صالح المقبض ٦٠ لوحة من أعماله الأخيرة، في معرض حتضنه المتحف العمومي الوطني للزخرفة والمنمنمات وفن الخط حتى ١٨ مايو الماضي.
وجاء المعرض، الذي نُظّمَ بمناسبة إحياء الجزائر لشهر التراث، تحت عنوان «جواهر من حروف صالح المقبض».

وشقّ هذا الخطاط الذي وُلد سنة 1972 بمدينة الأغواط، طريقه بثبات على درب الأبجدية العربية، حيث يعمل جاهدًا ليكون له أسلوبه الخاص، وقد وضع لمساته السحرية في الخط العربي العصري، مثلما برع في أسلوبه الحروفيّ الفاتن.

اكتشف المقبض موهبته في التزيين والإتقان مبكرًا، فراح يرعاها ويتعهّدُها بالعناية والمشاركة في المعارض الوطنية والدولية، كما درس الخطَّ العربي بانتظام بدولة الإمارات العربية المتحدة على أيدي أساتذة من العراق، ونهل من أسرار الخط العربي، وأتقن أساليب الزخرفة وبناء اللّوحة الفنية.

وكنتيجة لهذا التراكم المعرفي والحسّ الفني، شقّت أعماله الآفاق البعيدة، ليستقرَّ كثيرٌ منها في شكل مقتنيات لدى أفراد وهيئات حكومية بين الجزائر، وبريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية والإمارات العربية المتحدة.

واللّافتُ في معرض المقبض أنّ أعماله لا تستقرُّ على أسلوب واحد، ولا على تقنيات بعينها، فهو كالملّاح الماهر؛ يُجرّب كلّ الأدوات ليظفر بالكنوز واللآلئ الثمينة؛ ولهذا نراه تارة يستخدم تقنيات مختلفة على القماش، وتارة أخرى يُشكّل لوحاته انطلاقًا من الأحبار الطبيعية، وفي تجربة ثالثة يلجأ إلى استخدام الحبر الأسود الصيني على القماش.

ولا يقف المقبض عند رصف الحروف وجعلها أثاثًا للوحاته من دون ترتيب، بل يتجاوز المألوف ويتخطّاه، لدرجة أنّ المتأمّل في أعماله يُطوّح به الخيال إلى عوالم بعيدة؛ هي عبارة عن مزيج من الفلسفة والتصوُّف والجمال.

ويختار المقبض عناوين لوحاته بعناية، ومنها: «قبل سنوات»، «أنفاس»، «النعيم لا يدوم»، «عند الاحتضار»، «رحمات نازلة»، «بسملة»، «موعظة من ميّت»، «منارة شرقية»، «نهر الحياة»، «نهاية حتمية»، «بسملة»، «البيت الكبير». لكنّ اللافت في معرض «جواهر من حروف صالح المقبض»، أن الخطاط خصّص عددًا من اللوحات للتعبير عن ولعه ببعض المدن والدول العربية، وربما حسرته وأساه على بعضها الآخر، كما يظهر في لوحة «حلب» التي أنجزها بتقنيات وألوان مختلفة على القماش، ومزج فيها الأحمر والأبيض والأخضر الخافت، لتُعبّر عمّا يجري من تدمير ممنهج لهذه المدينة العريقة.

وتحت عناوين «عراقنا»، «اليمن»، «مراكش»، «قصور غرداية»، «وادي سوف»، راح المقبض يرسم بالحروف مشاعره إزاء هذه الحواضر القريبة من قلبه وعقله.

ويقول صالح المقبض عن دلالات الحضور اللافت للمدينة في أعماله: «نظرًا لظروف معيّنة، أصبحت مدن ومناطق بعينها مشهورة ومعروفة، وهذا ما جعلها تستقطب اهتمامي، فالمثقف أو الفنان مطالبٌ بوضع لمساته من خلال فنه، فهو كتلة من الإحساس وليس جمادًا». ويوضح المقبض بأنّ عناوين لوحاته صارت بحدّ ذاتها لوحات، ولهذا فإنّ المشاهد يجد نفسه أمام منتَجين: منتَجُ اللّوحة، وكذا اسمُها.

ويرى من جهة أخرى، أنّ الحروفية أو الفن بصورة عامة، ليس وسيلة جامدة، وهنا يُؤكد بالقول: «إذا كانت لوحاتي لا تحمل إحساسًا أو تعبيرًا فنيًّا، فما الجدوى منها؟».

ويضيف صالح المقبض، بأنّ هناك أشياء جميلة في الحياة تستدعي أن تُجسَّد في لوحات، ولهذا استدعى في أعماله بعض القصص من التراث العربي، وترجمها في شكل لوحات حروفية.

كما يُؤكد أنّ كلّ نقطة أو فاصلة في لوحاته تحمل بُعدًا معيّنًا، إلى درجة أنّ الإطار الذي يستخدمه له دلالة أيضًا؛ وفي هذا الشأن يذكر أنّه استخدم الأبيضَ والأسود لتأطير لوحة بعنوان «الدنيا دوّارة»، تعبيرًا عن حلو الدنيا ومرّها وعدم ثباتها على حال، وقد فازت تلك اللّوحة بالجائزة الأولى في مسابقة بولاية شلف سنة 2014.

وينظر المقبض إلى اللّوحة الحروفية بوصفها لوحة تشكيلية، مؤكدًا أنّ الخط بالنسبة له، ليس حاملًا لبعد كتابيّ فقط، فله أيضًا وظيفة تعبيرية، ولذلك فهو يقوم برسم الحروف مقلوبة في أعماله لما يحققه ذلك من جمالية.

لكن صالح المقبض يخشى أن تكبر كرة الثلج المتدحرجة للحروفية، وأن تدفع التطوُّرات المتسارعة إلى انفلات الأمور، ولهذا يدعو إلى ضرورة ضبطها، ثم يستدرك قائلًا: «علينا أن نتنبّه من جهة أخرى إلى أنّنا سنعيدها إلى المربع الأول في حال ضبطناها.. أي إلى الحروفية الكلاسيكية.. لذلك، أفضّل أن نترك للفنان حرية الإبداع، ما دام المجتمع هو الذي يحكم في النهاية».

المصدر: العمانية